

التفسير المطول - سورة النساء ٤٠٠ - الدرس (١٥-٦٩): تفسير الآية ٣١ ، الكبائر والصغرى

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٦-٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الكبائر من خصائصها أن فيها قوة جاذبة لذلك أتى الأمر باجتنابها :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الخامس عشر من دروس سورة النساء، ومع الآية الواحدة والثلاثين، وهي قوله تعالى:

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُثْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفَّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَذِكْرُكُمْ مُذْخِلًا كَرِيمًا)

الحقيقة الأولى: أن هذه الكبائر - وسوف آتي بعد قليل على ذكر أمثلة لها - لها خصائص، من خصائصها أن فيها قوة جاذبة، لذلك أتى الأمر بالاجتناب؛ والاجتناب كما قلت في الدرس السابق أن تدع بينك وبين هذه الكبائر هامش أمان، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنْيَ)

[سورة الإسراء: ٣٢]

(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَيْمِ)

[سورة الأنعام: ١٥٢]

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا)

[سورة البقرة: ١٨٧]

على الإنسان أن يجعل هامش أمان بينه وبين الكبائر لينجو من عذاب الله :

أوضح مثل ذلك إذا أردت أن تحذر الناس من خط كهربائي عالي التوتر لا يمكن أن تقول: ممنوع مس التيار، تقول: ممنوع الاقتراب من التيار، لأن هناك مساحة حول التيار لو دخلت إليها لجذب التيار، إذاً هذه المعاصي يمكن أن تجذب، فالحقيقة الأولى لا تستطيع أن تنجو من هذه الكبائر إلا أن تجعل بينك وبينها هامش أمان. كبيرة الزنى؛ هامش الأمان ألا تخلو بأمرأة، هامش الأمان ألا تصحب الأراذل، هامش الأمان ألا تمارس الاختلاط، ألا تعرض نفسك لإثارة أنت في غنى عنها، هذا هامش الأمان. مال اليتيم؛ ينبغي أن تفصله عن مالك، أما إذا دخل في مالك، ودخل في مصروفك، فهناك مشكلة، إذاً:

(إِنْ تَجْتَنِبُوا)

الاجتناب هو أشد أنواع التحرير، لقوله تعالى:

(فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)

[سورة الحج: ٣٠]

أشد أنواع التحرير.

(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)

[سورة المائدة: ٩٠]

لو دفقت في آيات القرآن الكريم لوجدت أن الأمر بالاجتناب هو أبلغ من الأمر بالحرير، الاجتناب يحتاج إلى هامش آمان، لذلك لو أن الله مثلاً حرم علينا الخمر لسمح ببيعها، والتجارة بها، سمح بعصرها، سمح بنقلها، لكن الأمر بالاجتناب يقتضي ألا تعصرها، وألا تشتريها، وألا تباعها، وألا تتجار بها، وألا تجلس مع شاربها، وألا تكون على طاولة أنت عليها، كل العلاقات الفرعية المتعلقة بشرب الخمر محظمة، إذاً هذه قاعدة عامة ينبغي للإخوة الكرام أن يتبعوها إليها.

الإنسان هو المخلوق الوحيدي مع الجن الذي حينما عرض الله عليه الأمانة اختاره :

الكبار لا تثقى إلا بترك هامش أمان
يبنك وبينها، أما لو تجاوزت هذا
الهامش فإن احتمال الوقوع كبير جداً،
لهذه الصخرة المتمركزة في قمة جبل
لو دفعتها قليلاً إلى المنحدر لن تستقر
إلا في أعماق الوادي، ولعلي في الدرس
الماضي وضحت هذه الحقيقة، قضية
الاجتناب، الكبار تثقى بالاجتناب، ابتعد
عن أسباب المعصية، ابتعد عن أجواء



لو تجاوزت هامش الأمان احتمال الوقوع كبير جداً

المعصية، ابتعد عن مكان تمارس فيه المعصية، ابتعد عن أشخاص غارقين في المعصية، ابتعد عن المكان، وابتعد عن الزمان، وابتعد عن الأشخاص، وابتعد عن الأسباب، من أراد أن ينجو بذاته فليدع بينه وبين المعاصي هامش آمان، وهذا منطوق قوله تعالى: (إِنْ تَجْتَنِبُوا)، منطوق قوله تعالى:



الإنسان مخير

(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَلْزَلُمُ رجُسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَبِهُ)

[سورة المائد़ة: ٩٠]

الآن ما الكبار وما الصغار؟

الحقيقة يجب أن تعرف من أنت أولاً،
أنت مخلوق متميز، في الكون مخلوقات
كثيرة، هناك الملائكة الذين اختاروا

الإقبال على الله من دون مسؤولية وتکلیف، وهناك الحيوانات الذين اختاروا الشهوة البهيمية من دون مسؤولية وتکلیف، فالحيوان مسير، والملك مسير، لكن الإنسان هو المخلوق الوحيد مع الجن الذي حينما عرض الله عليه الأمانة، أي أن يكون مخيراً، أن يتولى بنفسه تزكية نفسه، فاختارها.

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُوهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلُهَا
الإنسان)

[سورة الأحزاب: ٧٢]

الإنسان كائن متميز فيه نفحة من روح الله وقبضة من تراب الأرض :

أنت كائن في كيانك قبضة من تراب الأرض، وفي كيانك نفحة من روح الله، عندك نوازع عليا تحب الخير، تحب الحقيقة، تحب أن تكون كريماً شجاعاً، وفيها صادقاً، متصلة بالله، تحب أن تكون كاملاً، وتحب أن تلبى حاجات الجسد، هناك نوازع علوية، وهناك نوازع سفلية، هناك نفحة من روح الله، وهناك قبضة من تراب الأرض، الإنسان كائن



الإنسان مخلوق فيه نوازع علوية ونوازع سفلية

متميز.

رُكِّبَ الملك من عقل بلا شهوة، ورُكِّبَ الحيوان من شهوة بلا عقل، ورُكِّبَ الإنسان من كلِّهما، فإذا سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان، لذلك:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ)

[سورة البينة: ٧]

فوق الملائكة بكثير.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)

[سورة البينة: ٦]

وما أكثرهم، تشاهدون أفعالهم كل يوم.

(أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِّيَّةِ)

[سورة البينة: ٦]

الإنسان مخير فكل خصائصه وكل حظوظه حيادية :

الإنسان يتذبذب بين أن يكون أرقى المخلوقات إطلاقاً، وبين أن يكون أشقاها إطلاقاً، إذاً أنت إنسان مخير، والتخيير واقع، بإمكانك أن تأتي إلى مجلس علم وبإمكانك أن تذهب إلى ملهي، بإمكانك أن تصلي أو لا تصلي، أن تصدق أو أن تكذب، أن تنجز الوعد أو أن تخلف، أن تكون وفياً أو خائناً، أن تكون منصفاً أو جادداً، أن تكون أباً مثاليأً أو أباً شهوانياً، أن تكون تاجراً صدوقاً أميناً أو تاجراً كذوباً خائناً، الدليل الواقعي قوي جداً، أنت مخير، ولأنك مخير كل خصائصك وكل حظوظك حيادية، يمكن أن تكون سلماً ترقى بها إلى أعلى علية، ويمكن أن تكون درجات تهوي بها إلى أسفل السافلين، مخير لذلك:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)

[سورة الأحزاب: ٧٢]

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)

[سورة الإنسان: ٣]

(وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)

[سورة البقرة: ١٤٨]

أما أن تظن أن السيئات التي تقرفها هي من قضاء الله وقدره فهذه عقيدة فاسدة، لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء.

الكبار أساسها أن إنساناً تحرك بدافع من شهوته خلاف منهج الله :

قال:

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانَ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَثُخِرْجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)

[سورة الأنعام: ١٤٨]



أنت مخلوق متميز لأنك مخير، وفيك نوازع سفلية، وفيك نوازع علوية، تحب الحقيقة، تحب الله، تحب الخير، تحب الحق، تحب أن تلبي حاجات البشر، هذه الهوية المتميزة تجعلك في حاليتين متناقضتين؛ إما أن تكون فوق الملائكة، أو دون الحيوانات، الحيوان يفترس إذا كان جائعًا، أما هذا الذي يبيد شعورياً بأكملها، ويتأذى بمشهد القتل

والذبح والتعذيب فهو دون الحيوان بكثير، بل إننا إذا وصفناه بكونه حيواناً نكون قد ظلمنا الحيوان، فيحتاج الحيوان علينا.

هذه مقدمة، فالإنسان أودع الله فيه الشهوات، لكن ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تجري خلالها، ليس هناك في الإسلام حرمان إطلاقاً، فالكبيرة أساسها أن إنساناً تحرك بدافع من شهوته خلاف منهج الله، أوضح تعريف لها، إنسان أودعه في الشهوات، وهي حيادية، معه منهج، تحرك في الحياة بدافع من شهواته من دون منهج الله عز وجل، لذلك قال تعالى:

(وَمَنْ أَضَلَّ مِنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

[سورة القصص: ٥٠]

الكبار والصغار :

هناك طريق شرعى إلى النساء، وهناك طريق غير شرعى إلىهن، الزنى، المال هناك طريق شرعى إليه هو العمل، أن تكسبه بالعمل، وهناك طريق غير شرعى إليه أن تكسبه سرقة، أو احتيالاً، أو ربياً، أو كذباً، أو زوراً، فالكبيرة



إنسان تحرك بداعي من شهوته من دون منهج يسير عليه، معنى ذلك أن الشر سوء استعمال فقط، كل شيء خلقه الله خير، إذا استعملته وفق منهج الله فأنت على حق، دفع لو أن إنساناً أسس عملاً، وكسب مالاً له اسم لائق في المجتمع، فلو أن هذا الإنسان سرق مالاً لسقط من عين الناس جميعاً، هو في الحالتين كسب المال، لكن في حالة كسبه مشروع، وفي حالة كسبه غير مشروع. أيها الأخوة، لا بد من أمثلة، الكبيرة هي معصية تحجبك عن الله حجاباً كثيفاً، أحياناً يخطئ الإنسان، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(كل بنى آدم خطاء، وخير الخطاين التوابون)

[أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن أنس]



لكن بين أن تخطئ بإخلاف وعد مع صديق حميم دون أن تقصد ذلك، وبين أن تقتل، وبين أن تزني، وبين أن تسرق، وبين أن تشرب الخمر، فشرب الخمر، والزنى، والقتل، والسرقة هي كبار تشعر أن بينك وبين الله حجاباً كثيفاً، وأن هذا الحجاب ليس من السهل إزالته، فالكبيرة ذنب كبير، ويتبعها حجاب كثيف، فإذا مثنا الكبيرة بأنك

تركب سيارتك، وتمشي على طريق عريض، وعن يمينه واد سحيق، وعن يساره واد سحيق، الكبيرة أن تحرف المقود تسعين درجة فجأة، فإذا أنت في الوادي، هذه هي الكبيرة، أما الصغيرة أن تحرف المقود درجة واحدة، سميت صغيرة لأنه يمكن تلافيها، والكبيرة تهلك صاحبها، تأخر في صلاته هي صغيرة، طبعاً التأخر بسيط، كلما كان التأخر أكبر كان الذنب أكبر، خطر في بالك خاطر، خاطر سيء، تصورت أن تفعل معصية، لكنك لم تفعلها، هذا من اللهم، همت أن تفعلها، ثم توقفت هذا من اللهم، معصية لم يتوعد الله عليها صاحبها بالحرمان أو باللعنة أو بجهنم، هي صغائر، يقول الله عز وجل:

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُثْهُونَ عَنْهُ أَنْكَفْرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَأَنْذِلْكُمْ مُدْخِلًا كَرِيمًا)

لا كبيرة مع الاستغفار لأن رحمة الله تسع كل شيء :

لكن القاعدة التي بينها النبي عليه الصلاة والسلام أنه:

((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار))

[رواه ابن المندز والديلمي عن ابن عباس]

ما أروع هذه القاعدة، هذه القاعدة تحيل الصغيرة كبيرة، والكبيرة صغيرة، لمجرد أن تثبت انحراف المقدود درجة واحدة بعد حين أنت في الوادي، أما الكبيرة لو أنك انتبهت مباشرة أعدت المقدود إلى ما كان عليه نجوت، فحينما تصر على صغيرة انقلب إلى كبيرة، وحينما تستغفر من كبيرة غفرت لك وكأنها لم تكن، لو جئتي بملء السماوات والأرض خطايا غرفتها لك ولا أبالي.

(قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

[سورة الزمر: ٥٣]

هذه بشاره، لو جئتي بملء السماوات والأرض خطايا غرفتها لك ولا أبالي، لا كبيرة مع الاستغفار، مهما تكن الكبيرة كبيرة، لأن رحمة الله تسع كل شيء، وأنت شيء، وأرجى آية في كتاب الله:



(قُلْ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

[سورة الزمر: ٥٣]

لكن:

(وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلٍ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ)

[سورة الزمر: ٥٤]

حينما تقرأ القرآن تشعر أن الله غفور رحيم.

(تَبَّأْ عَبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

[سورة الحجر: ٤٩]

إذا تبت، وإذا رجعت، وإذا استغفرت، وإذا أقلعت، فإن لم تفعل.

(وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)

[سورة الحجر: ٥٠]

أيها الأخوة الكرام، هذه قاعدة رائعة، الكبائر إن ندمت على فعلها، واستغفرت الله منها، وأقلعت عنها غرفت لك، وكأنها لم تكن، والصغرائر إذا أصررت عليها، وثبتت عليها انقلبت إلى كبائر، لذلك في مجتمع المسلمين الآن - وهذا من نعم الله علينا - الذي يقتل، والذي يزني، والذي يسرق، والذي يشرب الخمر نسبهم قليلة، أنا أقصد عند المسلمين، وعند المؤمنين، وعند رواد المساجد، هذه الكبائر لا يفعلونها، حسناً ما الذي يهلك عامة المسلمين؟ هنا يقول عليه الصلاة والسلام:

(إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرن من أعمالكم)

[الترغيب والترهيب عن سليمان بن عمرو عن أبيه]

يعني الاختلاط، هي مثل أختي، ونحن لا نقيم عازلاً بين الرجال والنساء، نحن أهل، فالشعور أننا أهل ولا مانع من الاختلاط مشكلة كبيرة، هذه لو أصررنا عليها انقلبت إلى كبائر، وحجبتنا عن الله. فالاختلاط يبدو عند الناس صغيرة، وما داموا قد أصرروا عليه انقلب إلى كبيرة، أن تملأ عينيك من محسن امرأة لا تحل لك، تظن أنها صغيرة، أما إذا أصررت عليها انقلبت إلى كبيرة. لذلك ما الذي يهلك عامة المسلمين؟ لا تهلكم الكبائر، لأن معظمهم لا يفعلونها، تهلكم الصغار حينما يصرون عليها، تجد نمط المسلم نمطاً في بيته مئة معصية؛ بعلاقته مع زوجته، مع بناته، بخروج بناته، بكسب ماله، بإتفاق ماله، بحديثه، يظن أنه لا يفعل شيئاً، أنا لا أسرق، هو يظن أنه ناج، لأنه ترك الكبائر، لكن هذه الصغار التي أصر عليها، ولم يعبأ بها، ورأها شيئاً طبيعياً، كان هلاكه من قلتها، وأوضح مثل هذا المسجد بأنواره، ومراوحه، وتكييفه، وكل أجهزة الكهرباء فيه لو قطعت التيار عنه ميليمتراً تعطل كل شيء، لو باعدنا بين التيارين متراً المحصلة انقطاع التيار، فالمتر كالميليمتر، حدث انقطاع، ووقع الحجاب، فذلك كأنه أضع يدي على مشكلة المسلمين، فإن الذي أهلكم الصغار،

(ما تحقرن من أعمالكم)

أما إذا لم يكن ثمة وقوع في الصغار فلا بد من الاتصال بالله في أعلى درجة، ومن خط مفتوح بينك وبين الله، أما إذا تساهلت في الصغار حجبتك هذه الصغار عن أن تتصل بالله عز وجل، أحفظوا هذا الحديث،

(لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار)

الصغريرة إذا أصررت عليها انقلبت إلى كبيرة، والكبيرة إذا استغفرت الله منها انقلبت إلى صغيرة، وتلاشت.

بعض من الكبائر :



الخمر والميسر من الكبائر

من هذه الكبائر أن تعبد غير الله:
(فاجتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأُوْثَانِ)

[سورة الحج: ٣٠]

من هذه الكبائر:

(إِلَمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رجسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فاجتَنِبُوهُ)

[سورة المائدة: ٩٠]

من الكبائر:

(واجتَنِبُوا قُولَ الزُّورِ)

[سورة الحج: ٣٠]

أن تدلّي بشهادة باطلة تقطع بها حق امرئ مسلم، من الكبائر شاهد الزور يرتكب كبيرة، قال القاضي لشاهد زور: أخلف، طلب من كلفه بالhalf خمس آلاف ليرة، دخل المحكمة، قال له القاضي: أخلف، وجد أمامه المصحف، فقال له: أريد عشرة آلاف، لأن ثمة يميناً، هذا شاهد زور، كبيرة جداً:

(واجتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)

[سورة النحل: ٣٦]

هؤلاء الأقواء هم في الأعم الأغلب أغنياء، فالذى يحتفل بهم، ويعظمهم من أجل أن يأخذ مما عندهم، أو أن يتقي شرهم، وينسى الله عز وجل، أن تتضعضع لغى، أن تعظم إنسان قوياً تحافه، وترجو ما عنده عن طريق معصية الله عز وجل هذه كبيرة أيضاً.

كل إنسان يأمن مكر الله يقترب أكبر الكبائر :

قال تعالى:

(إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقْدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)

[سورة المائدة: ٧٢]

الشرك من أكبر الكبائر، قول الزور من أكبر الكبائر، الكذب من الكبائر، الزنى من الكبائر، أن تيأس من روح الله، أن تقول: المسلمين انتهوا، أن ترى أن الكافر القوي سوف يدمرهم، وسوف يسحقهم، ولن تقوم لهم قائمة، حينما تيأس من رحمة الله، ومن أن الله سينصر عباده المؤمنين، اليأس من رحمة الله كبيرة، بل هي من أكبر الكبائر، ثم أن تأمن مكر الله، أن تقتل، لا سمح الله ولا قدر، وأن تأخذ الأموال الحرام، وأن تستعلي على خلق الله، وألا تدخل الله في حساباتك إطلاقاً، هذا

من الكبائر، تجد الشخص يكيد، ويدمر، ويسلب أموال الناس، يسحقهم، يفتري عليهم لا يعبأ، لا يفكر أن هناك يوماً يحاسب فيه.

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

[سورة النازعات: ٢٤]

قال فرعون.

(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرِي)

[سورة الفحص: ٣٨]

هؤلاء الذين يتحركون ليبالغوا في الإساءة لخلق الله عز وجل يرتكبون أكبر الكبائر.

(فَلَا يَأْمَنُ مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)

[سورة الأعراف: ٩٩]

صحفي ذكرتها لكم اقترح أن تصرب الكعبة في موسم الحج ردأ على ضرب الأنبياء في أمريكا، هذا الصحفي دخل إلى مستشفى مسلولاً، والطبيب سوري، أمن مكر الله، وكل إنسان يأمن مكر الله يقترب أكبر الكبائر.

أمثلة أخرى عن الكبائر :

قال:

(وَبَرَّا بِوَالَّدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيقًا)

[سورة مريم: ٣٢]

عقود الوالدين من أكبر الكبائر، ورد في الأثر: ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يغفر له، هذه الأم التي جعل الله قلبها آية من آياته الدالة على عظمته بذلك لك كل شيء، أنت تقابلها بکفر النعمة، بالعقوق.

(وَمَنْ يَقْتَلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا)

[سورة النساء: ٩٣]

أن تقتل مؤمناً متعمداً فأنت في جهنم إلى أبد الآبدين، من أكبر الكبائر.

(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنَوْا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

[سورة النور: ٢٣]

أن تفترى على امرأة شريفة طاهرة، أن تشيع عنها فاحشة هي بريئة منها، وقد ورد في الأثر:

((قذف محسنة يهدم عمل مئة سنة))

[ورد في الأثر]

امرأة بريئة طاهرة، تفترى عليها كي يطلقها زوجها، تفترى عليها كي تأخذ من مالها، تبتزها، لذلك من الكبائر قذف المحسنات، هذا الذي يقذف المحسنات لا تقبل له شهادة أبداً، ويجلد ثمانين جلد،

وَثُمَّةِ قَصْةٌ تُروَى؛ أَنْ امْرَأَةً تَغْسِلَ مِيتاً مِنَ النِّسَاءِ، لِعْلَهَا اتَّهَمْتَهَا فِي نَفْسِهَا بِالْزَّنْيِ، فَلَصَقَتْ يَدُهَا بِجَسْمِهَا فِي عَهْدِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، فَقَالَ: اجْلِدوهَا ثَمَانِينَ جَلْدًا، فِي الْجَلْدَةِ الثَّمَانِينَ فَكَتْ يَدُهَا مِنْهَا.

أكل مال الربا والفرار من الزحف من أكبر الكبائر :

قال:



(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَآبَا لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)

[سورة البقرة: ٢٧٥]

أكل مال الربا من الكبائر، لأنك إذا أكلت الربا جعلت المال يلد المال، وإذا ولد المال المال تجمعت الأموال في أيدي قليلة، وحرمت منها الكثرة الكثيرة، كل شقاء البشر من الفرق الهائل بين أنساب فلة يملكون تسعين بالمائة من ثروات العالم، وبين الكثرة الكثيرة التي لا تملك إلا عشرة بالمائة، مشكلات الأرض الآن ما هي؟ فئة قليلة تملك ثروات الأرض تعيش في بحبوحة ما بعدها بحبوحة، لكن هؤلاء الذين أفلقوهم أذهبوا سعادتهم، لأنهم يبذلون حياتهم في سبيل الله عز وجل، أفلقوهم، الفرار من الزحف من أكبر الكبائر.

(وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرَّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيَّزًا إِلَى فِتَنٍ فَقُدْ بَاءَ بَعْضَ بِمِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَيْسَ الْمَصِيرُ)

[سورة الأنفال: ١٦]

الفرار من الزحف من أكبر الكبائر.

أكل مال اليتيم والزنبي وكتم الشهادة من الكبائر :

قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظَلَمُوا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَارًا وَسَيَصْلُوْنَ سَعِيرًا)

[سورة النساء: ١٠]



أكل مال اليتيم الذي ينبغي أن تتفعله،
ينبغي إذا اتجرت بماله ألا تأخذ شيئاً،
وإن كنت غنياً ينبغي أن تستعف، وإن
كنت فقيراً فخذ بالمعروف، والمعروف
أجر المثل، أو حاجتك أيهما أقل، أما هذا
الذي يأكل أموال اليتامى ظلماً:

(إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلُوْنَ سَعِيرًا)

[سورة النساء: ١٠]

والزنى:

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُلْقَ أثَاماً * يُضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا)

[سورة الفرقان: ٦٨ - ٦٩]

والزنى من الكبائر، وكتم الشهادة من الكبائر.

(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)

[سورة البقرة: ٢٨٣]

ركب شخص مركبة، فوقع في حادث وقتل طفلاً، وأنت شاهد أن هذا الطفل قفز إلى أمام السائق، والسايق يمشي الهويني، بسرعة نظامية معتدلة، ولم يخالف قوانين السير، طلبت إلى الشهادة فرفضت وأنت الشاهد الوحيد، يمكن أن يئتم هدا السائق، وأن تُدمَر حياته، إذا كتمت الشهادة كان كتمك هذا من الكبائر، لا أحد يشهد معك إذا ثمة مشكلة.

(وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا)

[سورة البقرة: ٢٨٢]

الذى يأبى أن يشهد وقع في كبيرة.

إعانته الظالم على ظلمه والفتوى بخلاف ما تعلم من الكبائر أيضاً :

قال:

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بَعْهُدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثُمَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ)

[سورة آل عمران: ٧٧]

أي له مكانة دينية، أصدر فتوى إرضاء لجهة قوية، وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أنها غير صحيحة، لذلك أحد علماء بلد إسلامي له شأن كبير، وكان يعتلي أعلى منصب ديني في بلده، وهو في النزع الأخير على فراش الموت رفع يديه إلى السماء، وقال: يا رب أنا بريء من كل فتوى أفتتها في

المصارف، أنت حينما تقتي بخلاف ما تعلم إرضاء لقوى فقد ارتكبت أكبر الكبائر، وجعلت جسمك جسراً إلى جهنم، لذلك كلما كنت جباناً في الفتوى كنت أقرب إلى الله، فليايك أن تقتي:
(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثُمَّ نَأْلَمُهُمْ قَلِيلًا أَوْ لَكَ لَا خَالِقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ)

[سورة آل عمران: ٧٧]

من أuan ظالماً، ولو بشرط كلمة، والله عند بعض العلماء لو قدمت له ليوقع فقد شاركته في إثم هذا التوقيع، لو سألك: هل هذا صحيح؟ فقلت: نعم، لا بد أن تفعل هذا، وأنت لست مقتئاً بهذا العمل إرضاء له، دخلت في إثم هذا الظلم.

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثُمَّ نَأْلَمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[سورة آل عمران: ٧٧]

الغلو وترك الصلاة من الكبائر :

من الكبائر:

(وَمَنْ يَعْلَمْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

[سورة آل عمران: ١٦١]

الغلو أن تأخذ شيئاً قبل توزيع الغنائم في الحرب، في السلم يموت الأب، ويترك ميراثاً، الأخ الأكبر يأخذ أشياء قبل تقسيم الإرث، السجادة من رائحة والدي، هذا غلو، الشيء الذي يأخذ قبل توزيع الإرث هو من الغلو، الغلو من الكبائر، (وَمَنْ يَعْلَمْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ).
(مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ)

[سورة المدثر: ٤٢]

ما الذي أوصلكم إلى النار قالوا:

(قَالُوا لَمْ نُكُنْ مِّنَ الْمُصَلَّينَ)

[سورة المدثر: ٤٣]

ترك الصلاة من أكبر الكبائر.

الإنسان حينما يعصي الله يختل توازنه :

قال تعالى:

(الَّذِينَ يَنْفَضِّلُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيقَاتِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ)

[سورة البقرة: ٢٧]

إنسان له مرجع ديني، والمرجع الديني واضح، سليم العقيدة، والتوجيه سليم، فأنت تسلية فقط سودت له هذا المرجع، فقطعته عنه، أن تقطع ما أمر الله به أن يوصل هذا من الكبائر، شاب ملتزم بمسجد يغض بصره، يضبط لسانه، يصلّي وقته، يصوم شهره، يقوم الليل، معجب بالمسجد، معجب بأخوانه المؤمنين، له قريب فاسق كذاب، يسُوّد له هذه المرجعية، فالشاب ترك الجامع وفلت، وتبع المعاصي والآثام، مَاذا فعلت أنت؟ أنت قطعته عنك يجب أن يصل به:

(ويَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ)

(وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ)

[سورة البقرة: ٢٧]

هناك أشخاص سُبّان الله لا هم لهم إلا
أن يهزوا هؤلاء المثل عند أتباعهم،
طبعاً بالباطل لا بالحق، ذلك أن الإنسان
حينما يعصي الله يختل توازنه، ويستعيد
هذا التوازن لو أطاع الله، ويستعيده لو



إذا عصى الإنسان الله يختل توازنه

التف بالطيبين الصادقين، فإذا عصى الإنسان الله عز وجل يختل توازنه، فحتى يرتاح لا يترك أحداً من شره، هذا كذاب، هذا دجال، هذا لا تصدقه، هذا يده غير نظيفة، هذا الله أعلم، دائماً يطعن، طعن قناص، هو يطعن ليرتاح، هو اختل توازنه، فكل صالح يطعن في صلاحه، كل مستقيم يطعن في استقامته، وكل ورع يطعن بورعه، لذلك الأنبياء ما نجوا من هذا.

(وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مَّثُنًا)

[سورة الشعراء: ١٨٦]

تريد أن تتفضل علينا، أنبياء معصومون ومع ذلك ما نجوا من تهم أعداء الله عز وجل.

الكبائر بالاستغفار والتوبة تنقلب إلى صغار والصغرى بالإصرار تنقلب إلى كبار :

أيها الأخوة، الكبار بالاستغفار والتوبة تنقلب إلى صغار، والصغرى بالإصرار تنقلب إلى كبار:

(إِنْ تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ثُكَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ)

هذه السيئات كلها التي ذكرتها توعد الله عليها بالنار أو باللعنة.

(أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْأَعْلَوْنَ)

[سورة البقرة: ١٥٩]

في السنة:

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَبَّ امْرَأَهُ عَلَى زَوْجِهَا ، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

فكلمة (ليس منا) كلمة:

(أولئك يلعنهم الله ويُلعنُهم اللّاعونَ)

[سورة البقرة: ١٥٩]

(وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)

[سورة النساء: ٩٣]

الشيطان يزين للإنسان الكفر :

هذه كلها تشير إلى أن هذه المعصية كبيرة، وثمة معاصر صغيرة، من فضل الله، ومن رحمته، ومن توبته على عباده أن الصلوات الخمس تکفر ما بينها، وال الجمعة إلى الجمعة تکفر ما بينهما، طبعاً إذا اتّقى الكبائر، ورمضان يکفر ما بينهما، فـ:

((كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون))

[أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن أنس]

أي مخالفة بسيطة لم يقصدها، ولم يصر عليها، وتاب منها سريعاً، واستغفر الله، فإن الله غفور رحيم، وأكبر مشكلة يعانيها المسلمون أنهم محظوظون عن الله لا يكتبونها بل بصغرائهم أصرروا عليها، كل الأجهزة معطلة، لا لمسافة قطع طويلة، بل لمسافة قطع صغيرة، لكن الجهاز تعطل، التيار انقطع فتوقف الجهاز، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرن من أعمالكم))

[الترغيب والترهيب عن سليمان بن عمرو عن أبيه]

بالمناسبة كنت أقول دائماً: الشيطان يزين لك الكفر، فإن رأك على إيمان يزين لك الشرك، فإن رأك على توحيد يزين لك البدعة، فإن رأك على سنة يزين لك الكبيرة، فإن رأك على طاعة يزين لك الصغيرة، فإن رأك على ورع بقي معه ورقطان رابحتان، يزين لك التحرش بين المؤمنين، لا ينجو أحد من لسانك، قناص، تتهم كل إنسان، لا تحسنظن بإنسان، هذا من وسوسات الشيطان، فإن رأك على حذر بقيت معه ورقة رابحة؛ المباحثات، تبالغ في المباحثات حتى تشغلك عن طاعة الله وعن اليوم الآخر.

والحمد لله رب العالمين